المحاضرة الثانية دروس موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس

علم الصرف. مقاربة في المفهوم والمادة والمنهج. .الأستاذ: أبوعبدالله

موضـوع علم الصرف ـ مفهوم علم الصرف في التراث اللغوي العربي

تمهيد: لعلم الصرف معنيان: معنى اسمي(اصطلاحي) ومعنى مصدري(لغوي)

فالمعنى الاسمي علم يُبحث فيه عن صيغ الكلمات العربية وأحوالها التي ليست بإعرابٍ ولا بناءٍ، كالصحة والإعلال والأصالة والزيادة. والمعنى المصدري الذي هو فعل المصّرف تغيير صيغة الكلمة الواحدة إلى كلمات كثيرة لغرض معنوي أو مادّي (لفظي)، فالكلمة الواحدة هي المفرد والمصدر عند البصريين لأن المصدر أصل للأفعال عندهم والفعل الماضي عند الكوفيين لأن الفعل أصل للأسماء عندهم. فالتغيير الأول هو تغيير لغرض معنوي كتغيير المفرد إلى التثنية والجمع مثل تحويل (كلمة) إلى (كلمتين) للدلالة على التثنية أو (كلم) أو (كلمات) للدلالة على الجمع.

وكتغيير المصدر إلى الفعل والوصف وذلك بتحويل: العِلْم إلى عَلِم للدلالة على الزمن الماضي و إلى علّمَ للدلالة على المبالغة في الفعل وإلى(يعْلم) للدلالة على المحتمل للحال و الاستقبال و إلى(اعْلَم) للدلالة على المستقبل وإلى عالِم للدلالة على الذات التي وقع منها الفعل إما مع الدوام أو الانقطاع وإلى معلوم للدلالة على الذات التي وقع عليها الفعل. والتغيير الثاني؛ وهو تغيير لغرض لفظي، كتغيير قوَل من الأجوف وغزوَ من الناقص إلى: قال وغزا بقلب الواو فيهما ألفا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها، وكالتغيير بالحذف في: قل وخذ، وبالإدغام في: ردّ ومدّ، خلاصته أن التغيير اللفظي منحصر في ستة أشياء: القلب والنقل والحذف والإبدال والزيادة والإدغام. وكلّها داخل في الإعلال.

وموضوعه الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرّفة في العربية، فلا يدخل التصريف في الأسماء الأعجمية كإبراهيم وإسماعيل وغايته التحرّز عن الخطأ في اللسان، واستمداده من كلام العرب، ومسائله قواعده الباحثة عن صيغ الكلمات العربية كقولنا قياس فَعُل المضموم ضم عين مضارعه، وقياس فَعِل المكسور فتح عين مضارعه، وقياس فَعَل المفتوح فتح عين مضارعه أو ضمّها أو كسرها.

التحليل والتوجيه الدلالي للمحتوى النصي

يدرس علم الصرف نوعين من الكلمات، هي:

أ ـ الأسماء العربية المتمكّنة. ب ـ والأفعال المتصرّفة.

ولا يدرس الصرف الكلمات التالية:

ـ الأسماء الأعجمية، نحو: إسماعيل، إبراهيم، يوسف، أرسطو، وإن كانت معربة، فإنها منقولة من لغات أخرى ولا تخضع لميزان العربية.

ـ المبنيات، نحو: الضمائر وأسماء الإشارة وأسماء الاستفهام والأسماء الموصولة وغيرها.

ـ أسماء الأفعال، نحو: هيهات وحذار وآمين وشتان وأفٍّ. وغيرها.

ـ الأفعال الجامدة، نحو: بئس ونعم وعسى وليس وغيرها.

2ـ الميزان الصرفي:

لفظ يؤتى به لبيان أحوال بنية الكلمة في ثمانية أمور: الحركات و السكنات والأصول و الزوائد و والتقديم والتأخير(في القلب المكاني خاصة) والحذف وعدمه. وحروفه: الفاء والعين واللام تجمع في كلمة(فـعـل).

فمن الناحية التاريخية يعتبر الباحث عبد الرحمن الحاج صالح بأن ما يُسمّى بالميزان الصرفي هو من أهم ما ظهر على يدي النحاة العرب القدامى من خلال استعمالهم للرموز الحرفية في بناء الكلمة؛ وهي **الفاء والعين واللام**، وهو تجريد مفيد جدا؛ لأنه **تعميم المُعيّن** إلى **غير مُعيّن**. وهذا الأخير هو الذي نسمّيه في زماننا بالمُتغير في مقابل الثابت؛ وهو مفهوم رياضي [1]، ثم يشير الحاج صالح إلى أن العالم اللغوي عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي(ت 117هـ) هو من جعل ((فعل)) رمزا لكل أصل يشتق منه[2].

ولما كان أكثر كلمات اللغة العربية ثلاثيا؛ اعتبر علماء الصرف أن أصول الكلمات ثلاثة أحرف وقابلوها عند الوزن بالفاء والعين واللام، مصورة بصورة الموزون، فيقولون مثلا في وزن قمر: فَعَل بالتحريك وفي حِمْل: فِعْل بكسر الفاء وسكون العين وفي حسُنَ: فَعُلَ. فإن زادت الكلمة على ثلاثة أحرف وكانت الزيادة ناشئة من أصل وضع الكلمة على أربعة أحرف أضفنا لاما نحو: جَعْفر/ فَعلَلْ ودِرهم /فِعلَلْ.

---

(1) ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، 2012، الجزائر، ص32 وما بعدها.

(2) المرجع السابق، ص ن. **وأقدم كتاب كان في موضوع صرفي، وهو كتاب الهمز لعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي "المتوفى سنة ١١٧هـ"، ويعتبره الزبيدي في الطبقة الثالثة البصرية، ويعتبر سيبويه في الطبقة السادسة منها.**

وإن كانت الزيادة ناشئة من تكرير حرف من أصول الكلمة، كرّرت ما يقابله في الميزان، نحو: علّم /فعّل وفي وزن جلْبب/فَعْلَلَ ويُسمّى مضعّف العين أو الام.

وإن كانت الزيادة ناشئة من زيادة حرف من حروف(سألتمونيها) قابلت الأصول بالأصول وعبّرت عن الزائد بلفظه، نحو: شارك/فاعل واستقدم/استفعل ومجتهد/ مفتعل، واقترب/افتعل وهكذا. وإذا كانت الزيادة إبدالا من تاء الافتعال، ينطق بها بالنظر إلى الأصل، فيقال: اضطرب /افتعل واصطفى /افتعى وهكذا.

وإن حصل حذف في الموزون حذف ما يقابله في الميزان، فتقول في وزن: قل/فل وفي وزن عدة/علة وقِ/عِ من الفعل(وقى) وقاضٍ/فاعٍ.

وإن حصل قلب في الموزون، حدث أيضا في الميزان، فيقال مثلا في وزن: جاه/عفل مقلوب وجه. وحادو(حادي)/عالف مقلوب واحد. فما هو القلب المكاني ؟ وما هي أهم ضوابطه؟

القلب المكاني(المعنى اللغوي والاصطلاحي)(*)

والمقصود به عند اللغويين: تقديم بعض حروف الكلمة على بعض[1]، أو هو تغيير في ترتيب حروف الكلمة المفردة عن الصيغة المعروفة لها بتقديم بعض الحروف وتأخير بعضها الآخر. نحو: أيس مقلوب يئس و جبذَ مقلوب جذَبَ.

أولا ـ القلب المكاني في اللغة العربية

لقد أولى علماء اللغة العربية عناية كبيرة لظاهرة القلب المكاني في اللغة العربية، أبرزهم: الخليل (ت170ه) وسيبويه(180ه)، والمازني(249ه) وابن دريد(321ه) في كتابه(جمهرة اللغة)، و ابن فارس(ت395ه) في مصنفه الكبير(الصاحبي في فقه اللغة)، وابن جني(ت392ه) في مصنفه (الخصائص)، والرضي(ت 686ه) في (شرح شافية ابن الحاجب).

وقد خصص السيوطي (ت911ه -1505م) للقلب المكاني مساحة واسعة من مصنفه المشهور(المزهر في علوم اللغة وأنواعها)، حيث أحصى ـ كما يقول الباحثون ـ أكثر من مائة كلمة عدَّها من المقلوب[2].

و قد أولى ابن جني ـ في كتابه الخصائص، اهتماما كبيرا بهذا الموضوع حين أفرد في الجزء

(*) القلب لغة: تحويل الشيء عن وجهه. ابن منظور: لسان العرب، مادة: قلب. ص3713.

(1) ينظر: أحمد مطر: القلب المكاني في الموروث اللغوي، مجلة علوم اللغة، ج م ع، مج2، ع:1، ص 185.

(2) ينظر: السيوطي: المزهر في علوم اللغة، ج1، ص367 وما بعدها.

الثاني بابا سماه: ((باب في الأصلين (يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير)؛ تحدّث فيه عن مفهوم القلب المكاني بقوله: ((اعلم أنّ كلّ لفظين وُجِد فيها تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا جميعا أصلين ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه فهو القياس الذي لا يجوز غيره. وإن لم يكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه، ثم أريت أيّهما الأصل، وأيّهما الفرع))[1]. ثم ذكر مثالا عن النوع الأول بقوله: ((فمما تركيباه أصلان لا قلب فيهما قولهم: جذب وجبذ؛ ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه. وذلك أنهما جميعا يتصرّفان تصرفا واحدا؛ نحو: جذب يجذب جذبا فهو جاذب، والمفعول مجذوب، وجَبَذ يَجْبِذُ جبذا فهو جابذٌ، والمفعول مجبوذٌ))[2]. وأما فيما يخص النوع الثاني الذي يدخله القلب فنجده يقول: ((ومثل ذلك في القلب قولهم: أيست من كذا فهو مقلوب من يئست لأمرين: أحدهما أن (أيست) لا مصدر له، وإنما المصدر ليئست و هو اليأس))[3].

أما عند اللسانيين المعاصرين فيعرفون القلب المكاني بأنه تغير فونولوجيphonological change يؤثر على ترتيب الأصوات داخل الكلمة الواحدة. لا يخص لغة بعينها بل هو ظاهرة لغوية عامة change in the order of two sounds in) (a word)

فلماذا يقع القلب المكاني(أسبابه)؟ وما هي الكيفية التي يحدث بها؟ هل القلب المكاني ظاهرة قياسية؟ أم هو ظاهرة سماعية؟

اختلف الباحثون حيال ظاهرة القلب المكاني؛ فذهب بعضهم إلى القول بـ:

1ـ فرضية وقوع القلب المكاني نتيجة تغيرات فونولوجية حتمية، تقع بمرور الزمن، وبناء على ذلك فإن بعض الكلمات يصيبها تغيّر وتبدّل بفعل تقادم الزمن.

2 ـ فرضية الخطأ في نطق بعض الكلمات، حتى ألفها الناطقون بها فصارت في عرف اللغويين والمتكلمين بمثابة كلمات صحيحة لا لبس فيها.

3ـ فرضية الأثر التاريخي، حيث تتعرض بنية الألفاظ لبعض التغيرات القياسية أو غير القياسية، بسبب البعد الجغرافي بين أبناء اللغة الواحدة (العزلة)، مما ينتج عنه تغير في طريقة نطق بعض الحروف.(وهو عند اللغويين سبب مهم من أسباب نشأة اللهجات.

---

(1) ينظر: ابن جني: الخصائص، ج2، ص69 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ص 70.

(3) المصدر نفسه، ص71.

ثانيا ـ شرح نظرية الخليل في كيفية حدوث القلب المكاني:

يرى الخليل بأن القلب المكاني ظاهرة قياسية في اللغة العربية وذلك متى أدت أيّة عملية بناء أو صياغة لكلمة من الكلمات العربية إلى اجتماع همزتين متتابعتين في آخر الكلمة، فإن هذه الصورة لا تقبلها العربية وبالتالي تخضع الكلمة إجباريا إلى عملية قلب مكاني تؤدي في الأخير إلى منع توالي همزتين.

وبناء على ما سبق ذكره فإن هذه الظاهرة الصرفية يمكن أن تقع في المواضع التالية:

1-1ـ عند بناء اسم الفاعل من الفعل الثلاثي الأجوف المهموز اللام وصورته: فالع لا فاعل: في هذه الصورة نفحص الفعل: جـاء(هو فعل أجوف يائي أصله(جَيَأَ) لأن عينه منقلبة عن ياء؛(فلمّا تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا)ينظر: سيبويه: الكتاب، ج4، ص 238.

ـ الأصل مجيء اسم الفاعل من الفعل الثلاثي على وزن (فاعل)؛ فجيَأ يصير على وزن **جَايِئ**.

ولأن القاعدة الصرفية تحكم بأن الواو أو الياء إذا وقعتا عينا لاسم الفاعل وسُبقتا بألف تُقلب همزة. فتصبح جايِئُ = جائِئُ. وهذه الصورة غير مقبولة في اللغة العربية.

هنا تتدخل نظرية الخليل التي توجب وقوع القلب المكاني(بصورة قياسية) في (**جايئ**) حتى لا يقع تتابع همزتين في(**جائئ**)، فيقع القلب بين الياء والهمزة لتتحول(جايئ) إلى (**جائي**). **أي** من صيغة **فاعل** إلى **فالع**.

وبعد وقوع القلب المكاني تستثقل الضمة على الياء، فتحذف تخفيفا، وحينها يلتقي ساكنان وهما الياء والتنوين الذي يليها، فتحذف الياء لفظا ورسما، وتتحول جائيٌ إلى: **جاءٍ** على زنة: **فالٍ**.

ومن خلال ما سبق نقول إن اشتقاق اسم الفاعل من الثلاثي الأجوف مهموز اللام (حسب فرضية الخليل) يخضع لمبدأين هما:

1 ـ القلب المكاني بين العين واللام(فالع وفاعل).

2ـ حذف ياء المنقوص بعد القلب.

وتحدث هذه التغييرات بطريقة قياسية في كل فعل أجوف مهموز اللام: فاسم الفاعل من الفعل: شاء شاءٍ، ومن باء باءٍ، ومن فاء فاءٍ، ومن قاء قاءٍ الخ...

2 ـ2 . كل جمع تكسير على زنة(فعيلة) مهموزة اللام يأتي على (فعالي) لا (فعائل) :

ومثال ذلك كلمة: خطيئة(من الفعل المهموز اللام: خطأ)، حيث تجمع على: فعائل: خطايئ؛ فيقع القلب المكاني بين الياء والهمزة، فتتحول إلى: خطائي على زنة: فعالي. لأنه لو لم يقع القلب لنتج عن جمعها على زنة فعائل توالي همزتين: خطائئ؛ لأننا سنقلب الياء همزة:(قياسا على الصحيح نحو: صحيفة: صحائف).

ولمنع هذا الصيغة الممنوعة في اللغة العربية(أي توالي همزتين في آخر الكلمة) تطبّق حينئذ فرضية الخليل في القلب المكاني. ثم تحذف كسرة الهمزة وتعوض بالفتحة رغبة في التخفيف، فتصير: خطاءَي، ثم تقلب الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، فتصبح: خَطَاءَا، وأخيرا تقلب الهمزة ياءً لمنع توالي شبه ثلاث ألفات في الكلمة، لأن الهمزة أخت الألف، فتصير إلى: خَطايا.

وخلاصة القول في جمع خطيئة على خطايا خمس مراحل هي:

خطيئة ـ خطايِئ ـ خطائِئ ـ خطائِي ـ خطائَي ـ خطاءا ـ خطايا.

وعند التحليل نقول بكل بساطة: إن خطايا جمع خطيئة، أصلها خطايئ بياء مكسورة هي ياء المفرد، وهمزة بعدها هي لامه. فأبدلت الياء المكسورة همزة(مثل صحائف) فصارت: خطائئ بهمزتين متطرفتين، ثم أبدلت الهمزة الثانية ياءً لأن الهمزة المتطرفة إثر همزة تقلب ياءً مطلقا؛ ثم قُلبت كسرة الهمزة الأولى فتحة للتخفيف، ثم قُلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، فصارت: خطاءا بألفين بينهما همزة، والهمزة تشبه الألف، فاجتمع ثلاث ألفات، وهو مستكره، فأبدلت الهمزة ياءً، فصار: خطايا).

ثالثا ـ وسائل تحديد القلب المكاني في العربية

1 ـ تحديد أصول الكلمة: يعد تحديد الحروف الأصول(الجذر) لأي كلمة أهم أداة مباشرة التي لمعرفة مدى خضوع أية كلمة للقلب المكاني أو سلامتها منه ، وذلك بأن عملية الاشتقاق Derivation وتوليد الكلمات في العربية يخضعان لضوابط قياسية دقيقة يتم من خلالها تحديد الجذر وترتيب أصوله ، وتحديد الحروف الزائدة ، ومن ثم فأي قلب للترتيب الخطي لأصول الكلمة يمكن اكتشافه وتحديده بسهولة من خلال فحص التتابع الزمكاني لأصوات الكلمة قبل وبعد حدوث القلب المكاني.

(أي ترتيب الأصوات داخل الكلمة) ومعرفة أصلها الاشتقاقي. وعليه يمكن التعرف على القلب المكاني في الكلمات العربية من خلال الوسائل التالية:

1.1 ـ التبادل الموضعي بين الفاء والعين: يقع القلب المكاني بين فاء الكلمة وعينها.

فتتحول: **فعل** إلى **عفل**. نحو: جاه، وأصله: جوَه، يقال جاه وجاهة، مصدره: جوه مقلوب: وجـه، فوزنه: عَفل.

2.1 ـ التبادل الموضعي بين العين واللام: وهو أكثر أنواع القلب المكاني شيوعا، ومن أشكاله:

1.2.1ـ فعل ـ فلع: مثل: الفعل ناء مصدره النأي، وهو مقلوب الفعل: نأى، فيقال: ناء على وزن: فلع ، فالفعل نأى ـ ينأى ـــ النأي ـــ النّائي ـــ منئٌ عنه ـــ مَنأى. فنأى على وزن: **فعَل**، أما: نـاء ففيه قلب مكاني وزنه: **فلع**.

2.2.1ـ انتقال العين واللام دون تبادل موضعي بينهما: نحو كلمة: واحد من الفعل: وحد، فقلبت وصارت: حادِو على وزن: عالِف، ثم قلبت الواو ياءً فصارت حادي. وقال الجوهري في الصحاح: قولهم حادي عشر هو مقلوب من واحد لأن تقدير واحد فاعل، فأخروا الفاء وهي الواو فقلبت ياءً لانكسار ما قبلها، وقدم العين فصار تقديره: عالف. وهذا معناه أن الفعل مقلوب من: وَحَدَ إلى حَدَوَ.

3.2.1 ـ فعول ـ فلوع: مثل لفظ (قِسيٌّ) وهو جمع (قَوْس)، نجد بأن الترتيب الصوتي(الخطي) لحروفها: ق و س، فنقول: قوس وقوسان وأقواس، أما في جمع(قِسيّ) فقد وقعت: السين(س) وهي لام الكلمة موقع (الواو) وهي عين الكلمة.

مما يشير إلى وقوع قلب مكاني؛ لأن أصلها: قُوُوس على وزن فُعول؛ وبعد القلب حدث تبادل موضعي بين السين والواو(أي بين اللام والعين)، فصارت: قُسُوْو على وزن فلوع؛ وهي صورة غير مقبولة في العربية بسبب صعوبة النطق بواوين، فقلبت الواو الثانية ياءً لأنها وقعت متطرفة[1] والواو الأولى لاجتماعها مع الياء، وسُبق إحداهما بالسكون، ثم كُسرت السين لتناسب الياء، وكُسرت القاف لعُسر الانتقال من ضمٍّ إلى كسر، فتصير الكلمة: قِسِيي، ثم تدغم الياء الأولى في الثانية فتصبح :قِسيٌّ وفي الأخير نقول قدو وقع

---

(1) أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف، تح: مصطفى أحمد، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، ط1، 2001، ص13.

تبادل موضعي بين صوتي السين والواو.

2 ـ مخالفة القانون الصرفي أو أصل الاشتقاق: ويتجلى في معنى التصحيح مع وجود موجب الإعلال[1]؛ أو في معرفة الأصل الاشتقاقي؛ ومثاله الفعل أيِسَ ويئِسَ

فهما من الناحية الاشتقاقية يدلان على الأصل نفسه، ومن جهة المعنى لهما نفس المعنى، أما وجه الاختلاف فيكمن في كون الفعل: (أيِس) مخالف للقانون الصرفي الذي يوجب الإعلال(مثل بيَع)؛ أي صحت ياؤه وهي تستحق الإعلال لأنها متحركة

ومسبوقة بفتحة، ومن ثم وجب قلبها ألفا. ولكن ذلك لم يحدث. أما الفعل: يئس فيدل بعد فحصه بأن حروفه أصلية لأنه يتصرف تصرفا تاما وله مصدر، يئس ييأس يأس ويائس وميؤوس منه. فدل ذلك على أن أيس مقلوب الفعل يئس.

قال ابن سيدة ((أيِستُ من الشيء مقلوب عن يئستُ، وليس بلغة فيه، ولولا ذلك لأعلّوه فقالوا: إسْتُ أآسُ كهِبْتُ أهابُ. فظهوره صحيحا يدلّ على أنه إنما صحّ لأنه مقلوبٌ، عمّا تصحُّ عينهُ وهو: يئِسْتُ.)) ابن منظور: لسان العرب، مادة: أيس، ج1، ص190.

3. منع الصرف:

وهو أن يترتب على عدم القلب منع الصرف بدون مقتض، نحو: أشياء، فإننا لو لم نقل بقلبها، لزم منع صيغة: أفعال من الصرف بدون مبرّر، وقد وردت مصروفة في قوله تعالى(إِنْ هِيَ إِلاّ أَسْمَاءٌ سمَّيْتُمُوها) النجم /23، فنقول: أصل أشياء شيآء على زنة : فعلاء قدمت الهمزة ـ التي هي اللّام ـ في موضع الفاء، فصار: أشياء على وزن: لفعاء، فمنعها من الصرف نظرا إلى الأصل، الذي هو: فعلاء، ولا شك أن فعلاء من أوزان ألف التأنيث الممدودة التي تمنع من الصرف.

لذلك نقول إن أشياء ممنوعة من الصرف بدليل قوله تعالى:(لا تَسْأَلُوا عَن أشْياءَ إن تُبدَ لكم تَسُؤْكُم) المائدة /101.وبمقارنتها بكلمة (أسْمَاء) المنصرفة نجدها تحمل البنية الصرفية نفسها ، وهي أفعال.

---

(1) التصحيح: هو إقرار الحرف على وضعه الأصلي؛ كالياء في بياض وأبيض والواو في سواد وأسود. والإعلال: تغيير حرف العلة بقلبه أو حذفه أو إسكانه.

وتعليل منع صرف (أشياءَ) بسبب وجود القلب المكاني، هو المبرر السليم على إجراء المصروف(صيغة أفعال) مجرى الممنوع من الصرف وهو (أشياء على زنة أفعال أيضا).